الشَّاهد القرآنيّ على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين للعلَّامة الحِلِّيّ (ت٧٢٦هـ) دراسة مقارنة

أ.د. حسن كاظم أسد الخفاجيّ
جامعة الكوفة/كليَّة التربية الأساسيَّة
قاسم حسن نعمة الياسريّ

The Qur'anic Witness to Imamate of the Commander of the Faithful (PBUH) in the book (Kashf Al-Yaqin fi fadayil Amir Al-Muminin) by Allama Al-Hilli (D. 726 AH) A Comparative Study

Prof. Dr . Hassan Kazem Asad Al-Khafaji
Researcher: Qasim Hassan Nimah Al-Yasiri
University of Kufa/College of Basic Education

ملخَّص

درس هـذا البحـث الشـواهد القرآنيَّة على إمامـة أمير المؤمنين عـليّ عليه السلام في كتاب كشـف اليقين في فضائل أمير المؤمنين للعلَّامة الحِلِّيّ (ت٧٢٦هـ)، أبيَّن مصطلح الإمامة وأهميَّتهـا، وبيان شروطهـا ومتعلّقاتها، وما يجـب أن يتَّصف به الإمـام من خصائص، وما يتميَّز به من مميِّزات، وما ثُقل المهمَّة الملقاه على عاتق الإمام.

وقد اختار الله تعالى الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وخصَّه بالإمامة، وجب على كافَّة المسـلمين الطاعة لإمامهم وخليفتهـم الذي نصَّبه الله تعالى لهـم، وأمرهم باتِّباعه، فهو المـوكَّل في قضيَّة حفظ الدين بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنَّ الخلاف الذي وقع بعد وفاه النبيّ صلى الله عليه وآله، ونقضهـم كتاب الله تعـالى ووصيَّة نبيِّه صلى الله عليه وآله؛ لمـا فيه صلاحهم ونجاتهـم، فاختاروا غير الذي اختاره الله تعالى لهم، فضعفت شوكتهم، وقلَّ عددهم، ووهنت قوَّتهم، وأصبحوا متفرِّقـين يقتـل بعضهـم البعض، لا يسـتطيعون محاربة عـدو ولا مجابهة ظـالم، وانتشر الجهل والفقر والمسـكنة والمذلَّة، وأصبحوا مسـتضعَفين أذلَّاء بعدما أعزَّهم الإسـلام، ورفع من شـأنهم، وأرشـدهم إلى ما فيه نجاتهم ، فأقبلت عليهم الفتن، وغرقوا في بحر الظلالة والعمى؛ لأنَّهم لم يتمسَّكوا بما أمرهم الله، به ولم يطيعوا أمر رسول الله ووصيَّته لهم.

إنَّ مـشروع الإمامـة، هذا المشروع الرسـاليّ، ودعـوى النبوَّة، لا بـدَّ وأن يتحقَّق، فتقـام دولة العدل الإلهيّ، وأن ينفَّذ مشروع الإمامة، وأن يظهر الحقُّ وينتصر الإسـلام

والمسلمين، وهذا ما ينتظره من بقوا على الإسلام، وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم ينكثوا البيعة، فإنَّ بيعة غدير خم لم تكن محدَّدة لذلك الزمان، بل لكلِّ الأزمنة والعصور، فإنَّ نهج عليّ بن أبي طالب وطريقه واضح، فمن اتَّبعه نجا وفاز بالرضوان.

إنَّ مشروع الإمامة قائم ومستمر ، فهو امتداد إلى قيام دولة العدل الإلهي على إمام معصوم ناطق بالحقِّ، فإنَّ إثبات الإمامة لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، هي إثباتٌ للمشروع الإلهيّ، وإتمامٌ لرسالة نبيِّنا محمَّد صلى الله عليه وآله.

الكلمات المفتاحيَّة: الإمام عليّ عليه السلام، الشاهد، القرآن، الإمامة.

Abstract

This research studied the Qur'anic evidence on the imamate of the Commander of the Faithful Ali (peace be upon him) in the book Kashf al-Yaqin fi the Virtues of the Commander of the Faithful by Allama al-Hilli (D. 726 AH), as he explained the term imamate and its importance, and clarified its conditions and the characteristics that the imam must be characterized by, his features, and his greatness. The task entrusted to the Imam. Allah Almighty chose Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him) and assigned him the imamate. All Muslims must obey their imam and successor whom Allah Almighty has appointed for them and commanded them to follow him. He is the one entrusted with the issue of preserving the religion after the Prophet (may Allah's prayers and peace be upon him and his family). And the dispute that occurred after the death of the Prophet (may Allah's prayers and peace be upon him and his family) and their violation of the Book of Allah Almighty and the will of His Prophet for what was for their benefit and salvation,

so they chose other than what Allah Almighty had chosen for them, so their strength was weakened, their number decreased, their strength weakened, and they became dispersed, killing each other, unable to fight an enemy or confront an oppressor, and ignorance spread. Poverty, misery, and humiliation, and they became weak and humiliated after Islam gave them honor, raised their status, and guided them to what would save them. Then temptations came upon them, and they drowned in a sea of shadows and blindness. Because they did not adhere to what Allah commanded them to do and did not obey the command and command of the Messenger of Allah to them. The Imamate project, this missionary project and the claim to prophethood, must be fulfilled, the state of divine justice must be established, the Imamate project must be implemented, the truth must emerge, and Islam and the Muslims be victorious. This is what those who remained in Islam and the era of the Messenger of Allah (may Allah's prayers and peace be upon him and his family) and did not break the pledge of allegiance are waiting for. The pledge of allegiance to Ghadir Khumm was not specific to that time, but rather to all times and eras. The approach and path of Ali bin Abi Talib is clear. Whoever follows him will be saved

and gain satisfaction, and the Imamate project is present and continuing. It is an extension of the establishment of a state of divine justice over an infallible imam speaking the truth. Proving the imamate to the Commander of the Faithful Ali (PBUH) is proof of the divine project and a completion of the message of our Prophet Muhammad (may Allah bless him and his family and grant them peace).

Keywords: Imam Ali (PBUH), witness, the Qur'an, imamate.

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمَّدﷺ نبيِّ الرحمة، وكاشف الغمَّة وعلى آله الطيِّبين الطاهرين، الحمد لله جبَّار السماوات، عالم الخفايا، مُنزل البركات، قابل البركات، مخرج البركات، كريمٌ مجيد.

أمَّا بعد: فإنَّ القرآن الكريم الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيِّنا محمَّدﷺ يمتلك شموليَّة تامَّة، وإحاطة كاملة بالحقائق كافَّة، وبه الهداية والبشرى للبشريَّة كافَّة؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ الإسراء/ ٩، والقرآن الكريم يحتوي على معاني ظاهريَّة باطنيَّة، تحمل دلالات وحقائق على مرِّ العصور والأزمان، وهذا يدعو إلى ضرورة وجود مبلِّغ ومبيِّن للقرآن الكريم، فالنبيّ محمَّدﷺ قام بهذا الدور البيانيّ والمسؤوليَّة الرساليَّة، لقوله تعالى: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل/ ٤٤، وقد أكَّد النبيّﷺ ضرورة التمسُّك بالقرآن الكريم، وأهل البيتعليهم السلام، كما في حديث الثَّقَلَين، قال رسول اللهﷺ: «**أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، فإنِّي سألت الله عزوجل أن لا يفرِّق بينهما حتَّى يوردهما عَلَيَّ الحوض، فأعطاني ذلك**»، وقال: «**لا تعلِّموهم فهم أعلم منكم**»، وقال: «**إنَّهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم في باب ضلالة**»[1]، فأهل البيتعليهم السلام هم أهل العلم وعِدل القرآن، والقرآن هو المقياس والميزان في تمييز الحقِّ من الباطل، والصحيح من الخطأ، فقد أوضح لنا

(١) أصول الكافي، للكلينيّ، ط١، ج١، ص١٧٢.

طريق الحقِّ والهداية، وسبل التمسُّك بها، ولم يقتصر القرآن الكريم على الإشارة فقط، بل صرَّح بذلك، وأمر بالاتِّباع، وتوعَّد المخالفين بالقصاص منهم، ونيلهم أشدَّ العذاب بما خالفوا به أوامر الله تعالى ورسوله الكريم محمَّدﷺ، فقد خصَّ الله سبحانه وتعالى أهل بيت النبيّ بكرامته، وحباهم بولايته، إذ كانوا في أعلى درجات الكمال، فاستحقُّوا أن يكونوا عِدلَ القرآن، وأئمَّة الهدى، وولاة الأمر من بعد النبيِّ الأعظم محمَّدﷺ.

فقد اقتضت الحكمة الإلهيَّة وجودَ من يكمل الطريق بعد النبيّﷺ، وأن لا يخلو كلّ زمان من هادٍ وقائد إلهيّ، يُرشِد الناس إلى الهداية وطرق النجاة؛ لكي لا يكون للناس حجَّة بعدم وجود من يعرِّفهم طريق الله تعالى، وأنَّ هذا المنصب الذي اقتضت الحكمة وجوده، هو منصب الإمامة، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة/ ١٢٤، ويكون شاهدا عليهم لقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ النحل/ ٨٩، فلا يخلو زمان من وجود الإمام والحجَّة والشاهد على الخلق، فإنَّ إنكار وجود الإمام، وعدم الإيمان به وبكونه معصومًا قد اختاره الله تعالى، فهو إنكار إلى أصل من أصول الدين، ممَّا يؤدِّي إلى الميل عن طريق الحقِّ والهداية، وتفكُّك المجتمع، والذهاب نحو الهاوية، والابتعاد عن المشروع الإلهيّ في إقامة دولة العدل الإلهيَّة، وأنَّ الابتعاد وعدم الإيمان بهذا المشروع الإلهيّ، هو الهلاك بعينه.

أهميَّة الموضوع

إنَّ أهميَّة هذا البحث تأتي من أهميَّة الرسالة المحمَّديَّة، والصلة الوثيقة والترابط العميق بين النبوَّة والإمامة، ذلك أنَّ الإمامة هي امتداد النبوَّة، والمكمِّلة للرسالة، وأنَّ

واجبـات الإمام تماثل ما على النبيّ مـن واجبات وأعمال، لكنَّ الفرق بينهما هو الوحي، فالإمام لا يوحى إليه.

ومن أهداف موضوع البحث:

١. إثبات أنَّ مسـألة الإمامة هي مسألة عقائديَّة دينيَّة، لا منصب سياسيّ أو إدارة للحكم فحسب.

٢. إنَّ اختيار الإمام يكون من قِبَل الله تعالى، وإنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله ما عليه إلَّا التبليغ.

٣. إنَّ الإمـام مـن بعد رسـول الله صلى الله عليه وآله هو عليّ بن أبي طالـب عليه السلام، وذلك بما دلَّت عليه الآيات القرآنيَّة وبيَّنته.

٤. إنَّه لا يخلو زمن من الأزمان من الإمام؛ لأنَّه حجَّة الله على خلقه.

٥. وجوب طاعة الإمام والتصديق به واتِّباعه، وأنَّ طاعته من طاعه الله سـبحانه وتعالى، ورسوله الكريم.

إمامة الإمام عليّ عليه السلام في القرآن الكريم

نصُّ الإمامة

(البقرة ١٢٤، الرعد ٢٩، ٤٣، ٧، هود ١٧، القمر ٥٥)

الآيات الشاهد:

أوَّلًا: سورة البقرة (الآية ١٢٤): ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ثانيًا: سورة الرعد (الآية ٧): ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

ثالثًا: سورة الرعد (الآية٤٣): ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

رابعًا: سورة الرعد (الآية٢٩): ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾.

خامسًا: سورة هود (الآية١٧): ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

سادسًا: سورة القمر (الآية٥٥): ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۢ﴾.

الاستشهاد:

ذكر العلّامة الحِلّيّ رضوان الله تعالى عليه هذه الآيات في مواضع من كتابة شاهدًا على فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وشاهدًا على إمامته، فقد ذكر قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، بإسناده إلى عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أنا دعوة أبي إبراهيم**. قلنا: يا رسول الله، وكيف صرت دعوة أبيك إبراهيم؟ قال: **أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم: إنّي جاعلك للناس إمامًا، فاستخفَّ إبراهيم الفرح، قال: يا ربِّ ومن ذريّتي أئمَّة مثلي؟. فأوحى الله إليه أن يا إبراهيم إنّي لا عطيك عهدًا لا أفي لك به. قال: يا ربِّ ما العهد الذي لا وفاء لك به؟ قال: لا أعطيها لظالمٍ من ذريّتك. قال إبراهيم عندها: واجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام ربِّ أضللن كثيرًا من الناس**. قال النبيّ صلى الله عليه وآله: **فانتهت الدعوة إليَّ وإلى عليّ، لم يسجد أحد منَّا لصنمٍ قطُّ، فاتَّخذني الله نبيًّا، واتَّخذ عليًّا وصيًّا**»[1].

عن عليّ عليه السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت الوصيُّ على الأموات من أهل بيتي، والخليفة على الأحياء من أمَّتي، وحربك حربي، وسلمك سلمي، أنت الإمام أبو الأئمَّة، أحد عشر من صلبك، أئمَّة مطهَّرون معصومون، ومنهم المهدي الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا، فالويل لمبغضيهم. يا عليّ لو أنَّ رجلًا أحبَّ في الله حجرًا؛ لحشره الله معه، إنَّ محبِّيك وشيعتك، ومحبِّي أولادك والأئمَّة بعدك يُحشرون معك، وأنت معي في الدرجات العلى، وأنت قسيم الجنَّة والنار، تُدخِل محبِّيك الجنَّة، ومُبغضيك النار**»[2].

وعن الباقر عن أبيه عن جدِّه أمير المؤمنين عليهم السلام، قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ أكتب**

(١) ينظر: كشف اليقين، للعلّامة الحِلّيّ، ص٤١٢-٤١٣.

(٢) مسند الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إعداد وإشراف السيِّد عليّ عاشور، نشر دار نظير عبُّود، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ج١، ص١٥٣.

ما أُملي عليك. قلت: يا رسول الله أتخاف عليه النسيان؟ قال: لا وقد دعوت الله ﷻ أن يجعلك حافظًا، ولكن أكتب لشركائك الأئمَّة من ولدِك، بهم تُسقى أمَّتي الغيث، وبهم يُستجاب دعائهم، وبهم يصرف الله عن الناس البلاء، وبهم تنزل الرحمة من السماء، وهذا أوَّلهم، وأشار إلى الحسن عليه السلام، ثمَّ قال: وهذا ثانيهم، وأشار إلى الحسين عليه السلام، قال: والأئمَّة من ولدِه»[1].

وعن ابن عبَّاس قال: لـمَّا نزلت الآية، أومأ رسول الله ﷺ بيده إلى صدرة، وأشار بيده إلى عليّ، وقال: «**بك يقتدي المهتدون بعدي**».

وعن جابر بن عبد الله قال: كنَّا عند رسول الله ﷺ، فتذاكر أصحابنا الجنَّة، فقال ﷺ: «**إنَّ أوَّل أهل الجنَّة دخولًا إليها عليّ بن أبي طالب**». قال أبو دجانة الأنصاريّ: يا رسول الله اخبرتنا أنَّ الجنَّة محرَّمة على الأنبياء حتَّى تدخلها، وعلى الأمم حتَّى تدخلها أمَّتك. قال: «**بلى يا أبا دجانة. أما علمت أنَّ لواءً من نور وعمودًا من ياقوت، مكتوب على ذلك النور: لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله، آل محمَّد خير البرية، صاحب لواء يوم القيامة**»، وضرب بيده على عليّ بن ابي طالب، قال: فسر رسول الله بذلك عليًّا، فقال: «**الحمد لله الذي كرَّمنا وشرَّفنا بك**». فقال له: «**أبشر يا عليّ، ما من عبد ينتحل مودَّتك، إلَّا بعثه الله معنا يوم القيامة**».

وعن محمَّد بن سيرين قال: «هي شجرة في الجنَّة، أصلها في حجرة عليّ، وليس في الجنَّة حجرة إلَّا وفيها غصن من أغصانها»[2].

ومن التفاسير في هذه الآيات:

---

(١) ينظر: جامع أحاديث الشيعة، للشيخ إسماعيل المعزي الملايري، نشر واصف لا هيجي، قم، ط٢، ج١، ص٤١.

(٢) ينظر: كشف اليقين، للعلَّامة الحِلِّيّ، ص٣٨٥-٣٨٦، ٣٥٧، ٣٩٩.

أوّلًا: سورة البقرة (الآية ١٢٤) ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، للشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ:

الآيـة الكريمة في قوله تعـالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾، هذه الفقرة من الآية تشـير إلى الاختبارات المتتالية التـي اجتازها إبراهيم عليه السلام بنجـاح، وتبيَّن بها مكانة إبراهيم وعظمته وشخصيته[1].

وبعد أن اجتاز هذه الاختبارات بنجاح، استحقَّ أن يمنحه الله تعالى الوسام الكبير ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، وهنا كان رجاء إبراهيم عليه السلام أن يستمرَّ خطُّ الإمامة من بعده، وأن لا يبقى محصورًا بشخصه ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾، لكنَّ الله تعالى أجابه: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وقد استُجيب طلب إبراهيم عليه السلام في اسـتمرار خطِّ الإمامـة في ذريَّته، لكنَّ هذا المقام لا يناله إلَّا الطاهرون المعصومون من ذريَّته لا غيرهم.

ومن دراسـة آيات القـرآن الكريم بشـأن إبراهيم عليه السلام، وما أدَّاه هـذا النبيّ العظيم من أعمال جسـيمة اسـتحقَّ ثناء الله تعـالى، نفهم أنَّ المقصود مـن الكلمات هي مجموعة المسـؤوليَّات والمهـمات الثقيلـة الصعبة التي وضعهـا الله تعالى على عاتـق إبراهيم عليه السلام، فحملها وأحسـن حملها، وأدَّى ما عليه خير أداء، وهي عبارة عن: أخذ ولده إلى المذبح طاعةً لأمر الله تعالى، وإسـكان الزوج والولد بوادٍ غير ذي زرع، والنهوض بوجه عَبَدة الأصنـام، وتحطيم أصنامهم، والوقـوف ببطولة في تلك المحاكمـة التاريخيَّة، ثمَّ إلقاؤه في وسـط النيران، وثباته ورباطه جأشـه في كلِّ تلك المراحـل، والهجرة من أرض عَبَدة الأصنـام، كان كلُّ واحد من هـذه الاختبارات ثقيلًا وصعبًا حقًّا، لكنَّه بقوَّة إيمانه نجح

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، نشر مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إيران، قم، ط١، التصحيح الثالث، ج١، ص٣٠٥.

فيها جميعًا، وأثبت استعداده لمقام الإمامة. وتبيَّن من الآية الكريمة أنَّ منزلة الإمامة الممنوحة لإبراهيم عليه السلام، بعد كلِّ هذه الاختبارات، تفوق منزلة النبوَّة والرسالة، وأنَّ للإمامة معاني مختلفة، هي:

١. الإمامة بمعنى الرئاسة والزعامة في أمور الدنيا، (قال بذلك فريق من علماء أهل السنَّة).

٢. الإمامة بمعني الرئاسة في أمور الدين والدنيا، (قال بذلك فريق آخر من علماء أهل السنَّة).

٣. الإمامة بمعنى تحقيق المناهج الدينيَّة بما في ذلك منهج الحكم بالمعنى الواسع للحكومة، وإجراء الحدود وأحكام الله تعالى، وتطبيق العدالة الاجتماعيَّة، وتربية الأفراد في محتواهم الداخليّ، وفي سلوكهم الخارجيّ، وهذه المنزلة أسمى من منزلة النبوَّة والرسالة؛ لأنَّ منزلة النبوَّة والرسالة تقتصر على إبلاغ أوامر الله تعالى، والبشارة والإنذار، أمَّا الإمامة فتشمل مسؤوليات النبوَّة والرسالة إضافة إلى إجراء الأحكام، وتربية النفوس ظاهريًّا وباطنيًّا، ومن الواضح أنَّ كثيرًا من الأنبياء كانوا يتمتَّعون بمنزله الإمامة[1].

ومنزلة الإمامة هي في الحقيقة منزلة تحقيق أهداف الدين والهداية، أي الإيصال إلى المطلوب، وليست هي إراءة الطريق فحسب، ومضافًا لما سبق، فإنَّ الإمامة تتضمَّن أيضًا الهداية (التكوينيَّة)، أي النفوذ الروحيّ للإمام، وتأثيره في القلوب المستعدَّة للهداية المعنويَّة، والإمام في ذلك يشبه الشمس التي تبعث الحياة في النباتات، فكذلك أثر الإمام في بعث الحياة الروحيَّة والمعنويَّة في الكائنات الحية، يقول سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ

(١) تفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، ج١، ص٣٠٥-٣٠٧.

رَحِيمًا﴾[1]، ومن هذه الآية نفهم بوضوح أنَّ رحمه الله تعالى الخاصَّة والمعنويَّة الغيبيَّة للملائكة، بإمكانها أن تُخرِج المؤمنين من الظلمات إلى النور، هذا الموضوع يصدق على الإمام أيضًا، فالقوَّة الروحيَّة للإمام والأنبياء الحائزين على مرتبة الإمامة وخلفائهم لها التأثير العميق في تربية الأفراد المؤهَّلين، وإخراجهم من ظلمات الجهل والظلالة إلى نور الهداية، ولا شكَّ أنَّ المراد من الإمامة في الآية التي نحن بصدد تفسيرها، هو المعنى الثالث للإمامة؛ لأنَّه يُستفاد من آيات متعدِّدة من أنَّ مفهوم (الإمامة) ينطوي على مفهوم (الهداية) ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2]، هذه الآية لا تعني إراءة الطريق؛ لأنَّ إبراهيم عليه السلام كانت له قبل ذلك مكانة النبوَّة والرسالة، أي مكانة إراءة الطريق، فالقرائن الواضحة تشير إلى أنَّ منزله الإمامة الممنوحة لإبراهيم عليه السلام، بعد الامتحانات العسيرة، واجتياز مراحل اليقين والشجاعة والاستقامة، هي غير منزلة البشارة والإبلاغ والإنذار، إذ الهداية التي يتضمَّنها مفهوم الإمامة ما هي إلَّا الإيصال إلى المطلوب، وتحقيق روح الدين، وتطبيق المناهج التربويَّة في النفوس المستعدَّة، هذه الحقيقة يوضِّحها بإجمال حديث عميق المعنى، روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله: «**إنَّ الله تبارك وتعالى اتَّخذ إبراهيم عبدًا قبل أن يتَّخذه نبيًّا، وأنَّ الله اتَّخذه نبيًّا قبل أن يتَّخذه رسولًا، وأنَّ الله اتَّخذه رسولًا قبل أن يتَّخذه خليلًا، وأنَّ الله اتَّخذه خليلًا قبل أن يجعله إماما، فلمَّا جمع له الأشياء ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، قال فمن عظمها في عين إبراهيم ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، قال لا يكون السفيه إمام التَّقيّ**». وإنَّ مهماتهم عند الله تعالى مختلفة، فمهمَّة النبوَّة هي استلام الوحي[3]، من الله تعالى، فالنبيّ هو الذي ينزل عليه

(١) سورة الأحزاب، الآية ٤٣.
(٢) سورة السجدة، الآية ٢٤.
(٣) ينظر: تفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، ج١، ص٣٠٥-٣٠٧.

الوحـي، وما يسـتلمه من الوحي يُعطيه للنَّـاس إن طلبوا منه ذلك، أمَّا الرسـالة، فهي منزلـه إبلاغ الوخـي، ونشر أحـكام الله، وتربية الأفـراد عن طريق التعليـم والتوعية، فالرسـول إذًا هو المكلَّف بالسعي في دائرة مهمَّته لدعوى الناس إلى الله، وتبليغ رسالته، وبـذل الجهد لتغيير فكريّ عقائـديّ في مجتمعه. أمَّا الإمامة، فهي منزلـة قيادة البشريَّة، فالأمـام يسـعى إلى تطبيق أحـكام الله عمليًّا عن طريـق إقامة حكومة إلهيَّة، واسـتلام مقاليد الأمور اللازمة، وإن لم يستطع إقامه الدولة، يسعى قدر طاقته في تنفيذ الأحكام، بعبـارة أخـرى: مهمَّة الإمام تنفيذ الأوامر الإلهيَّة، على حين تقتصر مهمَّة الرسـول على تبليـغ هذه الأمور، وفي التعبير القـرآنيّ لا يقتصر على ظلم الآخريـن، بل الظلم مقابل العدل، وقد اسـتُعمل هنا بالمعنى الواسـع للكلمة، ويقع في النقطة المقابلة للعدل، وهو وضـع الـشيء في محلِّه، فالظلـم إذًا وضع الشـخص أو العمل أو الـشيء في غير مكانه المناسـب، ولـمَّا كانت منزلـة الإمامة والقيـادة الظاهريَّـة والباطنيَّة للبـشر منزلة ذات مسـؤوليَّات جسـيمة هائلة عظيمـة، فإنَّ لحظة مـن الذنب والمعصية في العمر تتسـبَّب في سـلب لياقة هذه المنزلة عن الشـخص، لذلـك نرى أئمَّة آل البيـت عليهم السلام يثبتون بهذه الآيـة تعيُّن الخلافة بعـد النبيّ صلى الله عليه وآله مبـاشرةً لعـليّ عليه السلام، وانحصارها به، مشـيرين إلى أنَّ الآخرين عَبَـدوا الأصنام في الجاهليَّة، وعلي عليه السلام وحده لم يسـجد لصنم، وأيُّ ظلم أكبر من عباده الأصنام ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

ومـن الآيـة مورد البحـث نفهم ضمنيًّـا أنَّ الإمـام القائم المعصوم لـكلِّ جوانب المجتمـع، يجـب أن يُعيِّنه الله سـبحانه؛ وذلك لأنَّ الإمامة ميثاق إلهـيّ مختص، فالأفراد الذين تلبَّسـوا بعنوان الظلم، ومارسـوا في حياتهـم لحظه ظلم بحقِّ أنفسـهم، أو بحقِّ

(١) سوره لقمان، الآية ١٣.

الآخرين، كأن تكـون لحظة شِرك مثلًا، لا يليقون للإمامة، فالإمام يجب أن يكون طيلة عمـره معصومًا، وهل يعلم ذلك في نفوس الأفـراد إلَّا الله، ولو أردنا بهذا المعيار تعيين خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله، لا يمكن أن يكون غير عليّ عليه السلام. وجدير بالذكرّ أنَّ صاحب (المنار) نقـل عـن أبي حنيفة قوله: إنَّ الخلافـة[1] لا تليق إلَّا بالعلويِّين، ومـن هنا أجاز الخروج عـلى حكومة العبَّاسـيِّين، ومن هنا أيضًـا رفض منصب القضـاء في حكومة خلفاء بني العبَّاس لعنهم الله، وذكر أيضًـا صاحب المنار أنَّ أئمَّة المذاهب الأربعة كانوا معارضين لحـكَّام زمانهـم، وكانوا يعتـبرون أولئك الحكَّام غـير لائقين لزعامة المسـلمين؛ لأنَّهم ظالمون[2].

ثانيًـا: سـورة الرعد (الآيـة ٧): ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٖ﴾

تفسير القمِّيّ (ت٣٢٩هـ):

جاء في تفسـير القمِّـيّ: المنذر، رسـول الله صلى الله عليه وآله، والهادي أمـير المؤمنين عليه السلام، وبعده الأئمَّة عليهم السلام، وقوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٖ﴾، أي في كلِّ زمان أمام هادٍ مبين[3].

مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسيّ (ت٥٤٨هـ):

إنَّ المـراد بالهـادي كلُّ داعٍ إلى الحقِّ، وفي رواية عن ابن عبَّاس قال: لـمَّا نزلت الآية، قال رسـول الله صلى الله عليه وآله: «أنـا المنذر وعليّ الهادي مـن بعدي، يا عليّ بك يهتـدي المهتدون»، وروى الحاكم أبو القاسـم الحسكانيّ في كتابه شـواهد التنزيل، بالإسناد عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير عن أبيه عن حكم بن جبير عن أبي بريدة الأسـلمي، قال: «دعا رسـول

(١) ينظر: تفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، ج١، ص٣٠٥-٣٠٧.
(٢) تفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، ج١ ص٣٠٧-٣١١.
(٣) تفسير القمِّيّ، أبو الحسن عليّ بن إبراهيم القمِّيّ، ج٢، ص٥١١.

اللهﷺ بالطهور وعنده علي بن أبي طالب، فأخذ رسول الله بيد عليّ، بعدما تطهَّر، فالزمها بصدره، ثمَّ قال: **إنَّما أنا منذر**. ثمَّ ردها إلى صدر عليّ، ثمَّ قال: **ولكلِّ قوم هادٍ**. ثمَّ قال: **إنَّك منارة الأنام، وغاية الهدى، وأمير القرى، وأشهد على ذلك أنَّك كذلك**»[1].

وأنَّ في هذه الآية إشاره في غاية الأهميَّة، وهي الإمامة، وأنَّه لا يخلو زمان من الأزمنة من إمامٍ هادٍ وقائدٍ ربَّانيٍّ تهتدي به جميع مخلوقات الله تعالى.

ثالثا: سورة الرعد (الآية٤٣): ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾

الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم:

روت الفرقة المحقَّة والثعلبيّ في تفسيره من طريقَين أنَّ قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإذا كان المعوَّل في علم الكتاب عليه، رجعت حاجة الخلق اليه، إذ كان هو المبيِّن لما فيه من الأحكام من الحلال والحرام وبقيَّة الأحكام، ولما وجب سلوك طريق النجاة بعمل الكتاب وحب التمسك بمن عنده علم الكتاب[2]، وهو الأحقُّ بالإمامة والخلافة بما اتَّضح من دلالات وبراهين.

رابعًا: سورة الرعد (الآية ٢٩): ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾

عن محمَّد بن سيرين، قال: هي شجرة في الجنَّة، أصلها في حجرة عليّ، وليس في

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسيّ، ج٦، ص١٢.

(٢) الصراط المستقيم إلى مستحقِّي التقديم، العلَّامة المتكلِّم الشيخ زين الدين أبي محمَّد عليّ بن يونس العامليّ النبطيّ البياضيّ (ت٨٧٧هـ)، حقَّقه: محمَّد الباقر البهبوديّ، نشر المكتبة المرتضويَّة لإحياء الآثار الجعفريَّة، ج٢، ص٧٥-٧٦.

الجنَّة حجرة إلَّا وفيها غصن من أغصانها[1]. هذا ما ذكره العلَّامة في فضيلة أمير المؤمنين. ومن التفاسير في هذه الآية:

شواهد التنزيل للحاكم الحسكانيّ (ت٤٨١هـ):

جاء في شواهد التنزيل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾، حدَّثنا الحاكم الوالد أبو محمَّد قال: أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان الواعظ ببغداد، قال: حدَّثنا أحمد بن محمَّد بن سعيد الهمدانيّ، قال: حدَّثنا أحمد بن الحسين الخزَّاز، قال: أخبرنا أبي، قال: حدَّثنا أبي حصين بن مخارق عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه، قال: سُئِل رسول الله عن ﴿طُوبَىٰ﴾، قال: «**هي شجرة أصلها في داري، وفرعها على أهل الجنَّة**». ثمَّ سُئِل عنها مرَّة أخرى فقال: «**هي في دار عليّ**». فقيل له في ذلك؟ فقال: «**إنَّ داري ودار عليّ في الجنَّة بمكانٍ واحدٍ**»[2].

الميزان في تفسير القرآن للسيِّد محمَّد حسين الطباطبائيّ (ت١٤٠٢هـ):

جاء في الميزان: «طُوبى على وزن فُعلى بضم الفاء مؤنَّث أطيب، فهي صفة لمحذوف، وهو على ما يُستفاد من السياق، الحياة أو المعيشة، وذلك أنَّ النعمة كأنَّه ما كانت، إنَّما تغتبط وتهنأ إذا طابت للإنسان، ولا تطيب إلَّا إذا اطمئنَّ القلب إليه وسكن ولم يضطرب، ولا يوجد ذلك إلَّا لمن آمن بالله وعمل عملًا صالحًا، فهو الذي يطمئن منه القلب، ويطيب له العيش، فإنَّه في أمن من الشرِّ والخسران، وسلامًا ممَّا يستقبله ويدركه، وقد آوى إلى ركن لا ينهدم، واستقرَّ في ولاية الله، لا يوجِّه إليه ربُّه إلَّا ما فيه سعادته، إن أُعطي شيئًا فهو خيرٌ له، وإن مُنِع فهو خيرٌ له»[3].

(١) ينظر: كشف اليقين، العلَّامة الحِلِّيّ، ص٣٩٨.
(٢) شواهد التنزيل، للحاكم الحسكانيّ، ج١، ص٣٩٦.
(٣) الميزان في تفسير القرآن، للطباطبائيّ، ج١١، ص٣٩٣.

وأنَّ اختصاصه عليه السلام في هذه المنزلة والدرجة العليا من الإيمان دلالة على إمامته.

خامسا: سورة هود (الآية ١٧) ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

ذكر العلامة الحلي قوله تعالى، قال عباد بن عبد الله الأسديّ: سمعت عليًّا عليه السلام يقول وهو على المنبر: «**ما من رجل من قريش إلَّا ونزلت فيه آية أو آيتان**». فقال رجل ممَّن تحته: فما نزل فيك أنت؟ فغضب، ثمَّ قال: «**أما أنَّك لو لم تسألني على رؤوس القوم ما حدَّثتك**». ثمَّ قرأ عليه السلام: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ﴾ «**رسول الله على بيِّنة، وأنا الشاهد منه**»[1].

هذه من آيات الفضائل التي استشهد بها، وهي دليل على إمامته عليه السلام، ومن التفاسير في هذه الآية:

التبيان في تفسير القرآن للطوسيّ (ت ٤٦٠ هـ):

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، الألف في قوله «أفمن كان» ألف استفهام، والمراد بها التقرير، والتقدير هل الذي كان على بيِّنة، يعني برهان وحجَّة من الله، والمراد بالبيِّنة ههنا القرآن، والمعنى بقوله ﴿أَفَمَن كَانَ﴾ النبيّ صلى الله عليه وآله، وكلُّ من اهتدى

(١) ينظر: كشف اليقين، للعلَّامة الحِلِّيّ، ص٣٥٩-٣٦٠.

بـه واتَّبعه. وقوله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، قيل في معناه أقوال، **أحدها**: شـاهدٌ من الله، هو محمَّدﷺ(١).

وروي ذلك عن الحسين بن عليّ عليهما السلام، وذهب إليه ابن زيد، واختاره الجبائيّ. **والثاني**: قال ابن عبَّاس ومجاهد وإبراهيم والفرَّاء والزجَّاج: جبرائيل يتلو القرآن على النبيﷺ. **والثالث**: شـاهد منه لسـانه، روي ذلك عن محمَّد بن عليّ، أعني ابن الحنفيَّة، وهو قول الحسن وقتادة، **والرابع**: روي عن أبي جعفر محمَّد ابن عليّ بن الحسين عليهم السلام أنَّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ورواه الرمَّانيّ، وذكره الطبريّ بإسناده عن جابر بن عبد الله عن عليّ عليه السلام. ذكر الفرَّاء وجهًا **خامسا**، قال: ويتلوه يعني القرآن يتلوه شاهد هو الإنجيل، ومن قبله كتاب موسى يعني التوراة. والمعنى: ويتلوه في الحجَّة والبيِّنة. والهاء عائدة على القرآن المدلول عليه فيما تقدَّم من الكلام، والمعنى أنَّه يشهد به بالبشارة التي فيه. والعامل فيه أحد أمرين، أحدهما: الظرف في قوله ومن قبله. والثاني: وشاهد من قبله كتاب موسى إمامًا ورحمة، وخبر (من) محذوف، والتقدير أفمن كان على بينة من ربِّه، وعلى الأوصاف التي ذكرت كمـن لا بيِّنة معه. وقـال قوم خبره قولـه: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ﴾ وقد تقدَّمه، واستغني به. وهو كناية عمَّن كان على بيِّنة من ربِّه أنَّهم يصدِّقون بالقرآن ويعترفون بأنَّه حقٌّ. وأنَّ أنَّ كلَّ من يجحده ولا يعترف به هم من الأحزاب الذين اجتمعوا على عداوته. وقـال الفـرَّاء: يقـال كلُّ كافر حزب النـار ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ يعني مسـتقرَّه وموعده، ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ يـا محمَّدﷺ في شـكٍّ من ذلك، فالخطـاب متوجِّه إلى النبيّﷺ، والمـراد به جميع المكلفـين. وقولـه: ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ إخبار منه تعالى بـأنَّ هذا الخبر الـذي ذكره حـقٌّ من عند الله. ولكن أكثـر الناس لا يعلمون صحَّتـه وصدقه؛ لجهلهم بالله، وجحدهم نبوَّة نبيِّهﷺ(٢).

(١) التبيان في تفسير القرآن، للطوسيّ، ج٥، ص٤٦٠.
(٢) المصدر نفسه، ص٤٦١-٤٦٢.

وجاء في تفسير الرازي من الأقوال قوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ﴾ أنَّ المراد هو عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، والمعنى أنَّه يتلو تلك البيِّنة، أي هذا الشاهد من محمَّدﷺ وبعض منه، والمراد تشريف هذا الشاهد بأنَّه بعض من محمَّدﷺ[1].

قال ابن البطريق: «فرسول اللهﷺ على بيِّنة من ربِّه، وعليّ عليه السلام شاهد منه، فلو كان لفظ الشاهد في الذِّكر العزيز مطلقًا على سبيل العموم، لشرك عليًّا عليه السلام غيره في كونه شاهدًا، فلمَّا أراد تعالى إفراد أمير المؤمنين عليه السلام بالإمامة، خصَّص ذلك العموم، فهذا التخصيص أوجب له الإمامة، وأبان النبيّ ﷺ أنَّ هذه الآية إنَّما أتت لتخصيصه بالإمامة بما قد نطق به الخبر صحيح»[2].

وقد تبيَّن ممَّا تقدَّم اختصاص الآية المباركة بالدلالة على إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد وافقت التفاسير لشاهد العلَّامة رضوان الله تعالى عليه.

سادسًا: سورة القمر (الآية ٥٥) ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾

عن جابر ابن عبد الله قال: كنَّا عند رسول اللهﷺ، فتذاكر أصحابه الجنَّة، فقالﷺ: **«إنَّ أوَّل أهل الجنَّة دخولا إليها عليّ بن أبي طالب»**. قال أبو دجانة الأنصاريّ: يا رسول الله، أخبرتنا أنَّ الجنَّة محرَّمة على الأنبياء حتَّى تدخلها، وعلى الأمم حتَّى تدخلها أمَّتك. قال: **«بلى يا أبا دجانة، أما علمت أنَّ لواءً من نور وعمودًا من ياقوت، مكتوب على ذلك النور: لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله آل محمَّد خير البرية، صاحب لواء يوم القيامة»**. وضرب بيده على عليّ بن أبي طالب. قال: فسرَّ رسول الله بذلك عليًّا، فقال: **«الحمد لله**

(١) ينظر: مفاتح الغيب، ج١٧، ص٢٠١.

(٢) خصائص الوحي المبين، المحقِّق يحيى بن الحسن الحِلِّيّ المعروف بابن البطريق، ص١٢٣

الـذي كرَّمنا وشرَّفنا بك». فقال له: «**أبشر يا عليّ، ما من عبد ينتحل مودَّتك إلَّا بعثه الله معنا يوم القيامة**».

ثمَّ قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[1].

ومن التفاسير في هذه الآية:

معالم التنزيل للبغوي (ت٥١٦هـ):

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ في مجلس حقٍّ لا لغو فيه ولا تأثيم، ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ عند ملك قادر لا يعجزه شيء.

قال جعفر الصادق عليه السلام: «**مدح المكان بالصدق فلا يقعد فيه إلَّا أهل الصدق**»[2].

ويقينًا أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام من أفضل الصادقين وأكرمهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ومَن كانت منزلته هذه في الآخرة، كان في الدنيا من المنجين الـذي يجب الاقتداء بهم، وهذا دليل على إمامته عليه السلام.

الجديد في تفسير القرآن المجيد، للشيخ محمَّد السبزواريّ (ت١٠٩٠هـ):

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي مكان حقٍّ، ومجلس لا لغو فيه، وقد وصفه الله تعالى بذلك؛ لأنَّه مرضي منه تعالى، فهم ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ أي عنده عزَّ وجلَّ، فهو المالك القاهر الذي لا ملك كملكه، ولا قدره كقدرته، إذ لا يعجزه شيء[3].

(١) ينظر: كشف اليقين، للعلَّامة الحِلِّيّ، ص٣٨٥-٣٨٦.
(٢) معالم التنزيل، للبغويّ، ج٧، ص٤٣٧.
(٣) الجديد في تفسير القرآن المجيد، للشيخ محمَّد السبزواريّ، ج٧، ص٦٧.

الخاتمة

الحمد لله لا إله إلَّا الله إقرارًا بربوبيَّته، وسبحان الله خضوعًا لعظمته، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم، الحمد لله الذي بتوفيق منِّه تمَّ هذا البحث، ويمكن تلخيص البحث بما يأتي:

تبيَّن من التفاسير، من كانت هذه منزلته ومكانته، فهو الإمام الهادي الذي توجَب طاعته والائتمار بأمره. وقد اتَّضح ممَّا تقدَّم مصطلح الإمامة وأهميَّتها، وبيان شروطها ومتعلَّقاتها، وما يجب أن يتَّصف به الإمام من خصائص، وما يتميَّز به من مميِّزات، وما ثقل المهمَّة الملقاة على عاتق الأمام، وبعد ما عُرِف الإمام، ومَن الذي يعيِّنه، وقد اختار الله تعالى الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وخصَّه بالإمامة، وأوجب على كافَّة المسلمين الطاعة لإمامهم وخليفتهم الذي نصَّبه الله تعالى لهم، وأمرهم باتِّباعه، فهو الموكل في قضيَّة حفظ الدين بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنَّ الخلاف الذي وقع بعد وفاه النبيّ صلى الله عليه وآله، ونقضهم كتاب الله تعالى ووصيَّة نبيِّه صلى الله عليه وآله؛ لما فيه صلاحهم ونجاتهم، فاختارو غير الذي اختاره الله تعالى لهم، فضعفت شوكتهم، وقلَّ عددهم، ووهنت قوَّتهم، وأصبحوا متفرِّقين يقتل بعضهم بعضًا، لا يستطيعون محاربة عدو، ولا مجابهة ظالم، وانتشر الجهل والفقر والمسكنة والمذلَّة، وأصبحوا مستضعَفين أذلَّاء بعدما أعزَّهم الإسلام، ورفع من شأنهم، وأرشدهم إلى ما فيه نجاتهم، فأقبلت عليهم الفتن، وغرقوا في بحر الظلالة والعمى؛ لأنَّهم لم يتمسَّكوا بما أمرهم الله به، ولم يطيعوا أمر رسول الله ووصيَّته لهم.

إنَّ مشروع الإمامة هذا المشروع الرساليّ، ودعوى النبوَّة، لا بدَّ أن يتحقَّق، وأن تُقام دولة العدل الإلهيّ، وأن ينفَّذ مشروع الإمامة، ويظهر الحقُّ وينتصر الإسلام والمسلمين، وهذا ما ينتظره من بقوا على الإسلام، وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم ينكثوا البيعة، فإنَّ بيعة غدير خم لم تكن محدَّدة لذلك الزمان، بل لكلِّ الأزمنة والعصور، فإنَّ نهج عليّ بن أبي طالب وطريقه واضح، فمن اتَّبعه نجا وفاز بالرضوان، وأنَّ مشروع الإمامة قائم ومستمر، فهو امتداد إلى قيام دوله العدل الإلهيّ على إمام معصوم ناطق بالحقِّ، فإنَّ إثبات الإمامة إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام هي إثبات المشروع الإلهيّ، وإتمام لرسالة نبيِّنا محمَّد صلى الله عليه وآله.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، نشر مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إيران، قم، ط١، التصحيح الثالث.

٢. التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبي جعفر محمَّد بن الحسن الطوسيّ (ت٤٦٠هـ)، تحقيق أحمد حبيب العامليّ، نشر دار إحياء التراث العربيّ.

٣. تفسير السمرقنديّ المسمَّى (بحر العلوم)، لأبي الليث نصر بن محمَّد بن أحمد ابن إبراهيم.

٤. تفسير الفخر الرازيّ، للأمام محمَّد الرازيّ فخر الدين ابن العلَّامة ضياء الدين عمر الشهير بخطيب الري (ت٦٠٦هـ)، نشر دار الفكر، ط٣.

٥. تفسير القمِّيّ، لأبي الحسن عليّ بن إبراهيم القمِّيّ (ت٣٢٩هـ)، إشراف المحقِّق السيِّد محمَّد باقر الموحِّد ا الاصفهانيّ، نشر وتحقيق مؤسَّسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ط١، ١٤٣٥هـ.

٦. جامع أحاديث الشيعة، للشيخ إسماعيل المعزي الملايريّ، نشر واصف لاهيجي قم، ط٢.

٧. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، الحافظ عبد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكانيّ

الحذَّاء الحنفيّ النيسابوريّ، من أعلام القرن الخامس الهجريّ، تحقيق وتعليق الشيخ محمَّد باقر المحمودي، مؤسَّسة الإرشاد الإسلاميّ، طهران، إيران، ط١، ١٣١١هـ/ ١٩٩٠م.

٨. الصراط المستقيم إلى مستحقِّي التقديم، تأليف العلَّامة المتكلِّم الشيخ زين الدين أبي محمَّد عليّ بن يونس العامليّ النبطيّ البياضيّ (ت٨٧٧هـ)، حقَّقه محمَّد الباقر البهبودي، نشر المكتبة المرتضويَّة لإحياء الآثار الجعفريَّة.

٩. كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، الحسن بن يوسف بن المطهَّر الحِلِّيّ (ت٧٢٦هـ)، مطبعه نكارش، طهران، ط٢.

١٠. مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام أبي عليّ الفضل ابن الحسن الطبرسيّ (ت٥٤٨هـ)، نشر دار المرتضى، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.

١١. مسند الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إعداد وإشراف السيِّد عليّ عاشور، نشر دار نظير عبُّود، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١٢. الميزان في تفسير القرآن، الأستاذ العلَّامة السيِّد محمَّد حسين الطباطبائيّ، نشر: دار الكتب الإسلاميَّة، سور السلطان، طهران، مطبعة الحيدريّ.